Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

الأساطير والخرافات في كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبو حامد الغرناطي الأندلسي (ت565هـ/1169م) دراسة تحليلية نقدية

م.د. محمد عويد غليم ناصر الطوگي
جامعة سومر-كلية التربية

M87h76t75@gmail.com

الملخص:

عكف هذا البحث الوجيز على دراسة الأساطير والخرافات في كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبو حامد الغرناطي, وقد وجدنا بأن الغرناطي قد ذهب إلى جانب كبير من الخيال والإبتعاد عن الواقع وبدليل إنه قد ذكر أمور وتفاصيل وروايات لا يُمكن للعقل قبولها بأي حال من الأحوال, بل والأدهى من ذلك إنها غير مألوفة في المجتمع الأندلسي, فذكر أساطير وخرافات عن الإنسان وبمختلف عناوينه ومُسمياته وقد تنوعت فشملت مختلف فئات المجتمع كالشعراء والأدباء ورجال الدين والحكام والعسكريين وعامة الناس, كما وأشار للعديد من الأساطير والخرافات حول بعض الحيوانات وأشكالها وقدراتها الخيالية, فضلاً عن العديد من الخرافات والأساطير حول الأحجار والمعادن وقدراتها العجيبة, ولذلك قمنا بدراسة تلك الأساطير والخرافات وفق منهج علمي يعتمد بشكل أساسي على التحليل والنقد الدقيق لتلك الروايات التي ذكرها الغرناطي ومن مختلف الجوانب, وسواء كانت علمية, عقلية, تاريخية, زمانية, مكانية, وبالتالي إرجاعها لجذورها وأصولها التاريخية ومن ثُم الحكم عليها, ووفقاً لذلك لابد أن يكون لدى جميع الباحثين المختصين بمجال التاريخ الحس النقدي والمنهج التشكيكي في جميع الأخبار والروايات التاريخية جميعها وذلك من أجل الوصول إلى نتائج علمية مقبولة قدر المستطاع نستطيع من خلالها إثبات صحة تلك الروايات أو رفضها.

الكلمات المفتاحية :الأندلس, الغرناطي, الأساطير, الخرافات, تحفة الألباب

الباحث :
الايميل :

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

Myths and legends in the book Tuhfat al-Albab wa Nukhbatal-Ijab by Abu Hamid al-Garnati al-Andalusi (565AH/1169AD) Critical analytical study

Teacher Dr : Mohammed Oweid Ghlaim Nasser Al-Tawqi
University of Sumer - College of Education-Department of Chemistry

M87h76t75@ gmail.com

Abstract:

In this research, we have shed light on the study of myths and legends in the book Tuhfat al-Albab wa Nukhbat al-I'jab by Abu Hamid al-Garnati. We have found that al-Garnati has gone to a great extent of imagination and distance from reality, as evidenced by the fact that he mentioned matters, details and stories that the mind cannot accept under any circumstances, and what is worse than that is that they are unfamiliar in Andalusian society. He mentioned myths and legends about humans and their various titles and names, and they varied to include different classes of society such as poets, writers, religious men, rulers, military personnel and the general public. He also referred to many myths and legends about some animals, their shapes and imaginary abilities, in addition to many myths and legends about stones and minerals and their amazing abilities Therefore, we have studied these myths and legends according to a scientific method that relies mainly on criticism and accurate analysis of those narratives mentioned by Al-Garnati from various aspects, whether scientific, rational, historical, temporal or spatial, and thus returning them to their roots and historical origins and then judging them. Accordingly, all researchers specializing in the field of history must have a critical sense and a skeptical approach to all historical news and narratives in order to reach a scientific result that is as acceptable as possible through which we can prove the validity of those narratives or reject them.

Keywords: Andalusia, Granada, Legends, myths, Tuhfat al-Albab

Author:
Email:

المقدمة:

المتأمل في الدراسات التاريخية للأندلس يلاحظ أنَّ معظمها قد إنصبَ على معالجة الجوانب السياسية لذلك حاولنا من خلال هذا البحث القيام بتسليط الضوء على دراسة الأساطير والخرافات في بعض المؤلفات الأندلسية وتحديداً في كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبو حامد الغرناطي, وذلك من أجل معرفة هذه الأمور الخيالية والغير مألوفة في المجتمع الأندلسي وبيان أسبابها والأمور الموجبة لذكرها, ومن هُنا انطلقت أهمية إختيارنا لهذا الموضوع والذي حاولنا فيه أن نصل إلى محطة نوضح بها كيف كان يتعامل المؤرخ والكاتب الأندلسي مع الأساطير والخرافات.

لقد شغلت فكرة الأساطير والخرافات ذهن أبو حامد الغرناطي وهذا الأمر يعكس ثقافته الذاتية فقام نتيجةً لذلك بتدوين ما شاهده وما سمع به من قصص أثناء سفره إلى مناطق ومدن مختلفة, فأطلق العنان لخياله في تصور وذكر تلك الأمور والمشاهدات بشكل مبالغ فيه للغاية وذلك من أجل غاية شخصية تمثلت في تقديم صورة مرغوبة عند جمهوره.

ووفقاً لذلك فقد قُسم البحث إلى مقدمة وأربعة محاور, المحور الأول بينا فيه مفهوم الأسطورة والخرافة, والمحور الثاني وضحنا فيه الأساطير والخرافات المتعلقة بالإنسان, وأما المحور الثالث فقد كُرس لدراسة الأساطير والخرافات الخاصة بالحيوانات, والمحور الرابع فَخُصص لتوضيح الأساطير والخرافات في مجال الأحجار والمعادن, فضلاً عن خاتمة لأهم النتائج التي توصل لها البحث وأخيراً قائمة للمصادر والمراجع.

◙ أهمية الموضوع وأسباب اختياره-

إن موضوع البحث**(الأساطير والخرافات في كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبو حامد الغرناطي الأندلسي)** من الموضوعات المهمة والتي مَكنتنا من الإطلاع والوقوف على تفكير الغرناطي وطريقة تناوله للأحداث والأمور المتنوعة, فضلاً عن ذلك تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على جوانب مختلفة في الحياة الاجتماعية, وفهم آلية التفاعل الاجتماعي مع هذه الأساطير والخرافات وذلك من جراء فهم الطبيعة البشرية وطبيعة الحياة الاجتماعية ومثل هذا الفهم يُمكننا من معرفة تفكير هؤلاء المؤرخين ومن ثم الإستفادة من ذلك في تطوير المجتمع والنهوض به إلى واقع جديد في الوقت الحاضر, ومما تقدم يتضح جلياً أهمية الموضوع والأسباب الموجبة لدراسته.

◙ المشكلة والفرضية-

لدراسة هذا الموضوع والكشف عنه ومعرفة الإشكالية الخاصة به نطرح ذلك في التساؤلات التالية:

-ما هي نظرة المجتمع الأندلسي تجاه هذه الأساطير والخرافات؟
-ما الأسباب الجوهرية التي دفعت الغرناطي لذكر الأساطير والخرافات؟
-ما مدى تفاعل السلطة الحاكمة والمتنفذين مع هذه الأمور؟
-ما الدروس المستفادة من دراسة تلك الظواهر على الواقع المعاصر لمجتمعنا والأمة الإسلامية عامة؟

وأما عن الفرضية فبناءً على مشاكل الدراسة أعلاه نذكر الفروض الآتية:

-إن الأساطير والخرافات قد تنوعت بشكل كبير للغاية عند الغرناطي بحيث إنها قد شملت الإنسان والحيوان والجماد.
-إن لهذه الظواهر الخيالية أثاراً كبيرة وخطيرة على كافة الفئات سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو على الدولة برمتها.

المحور الأول:مفهوم الأسطورة والخرافة.

بالنسبة لمفهوم الأسطورة فهي في الأعم الأغلب عبارة عن الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات حتى تصل في بعض الأحيان إلى الخرافة, أو هي الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها، حتى إنها تشبه الكلام الباطل، وهي تشمل مختلف النشاطات الاجتماعية والأدبية والدينية والعسكرية بل وحتى الصناعية[1], ووفقاً لما تقدم فالإسطورة هي حادثة موجودة أصلاً ولكنها حرفت وهولت إلى درجة وصلت بها إلى عدم التصديق.

وأما عن الخرافة فهي بدون شك على صلة كبيرة بالأسطورة, ولم ترد كلمة خرافة في القرآن الكريم مثل كلمة أسطورة, وهي عبارة عن الحديث المستملح من الكذب, أو تطلق على ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كما يستملح ويتعجب منه, وبذلك فالخرافة هي كلام وخطاب باطل لا أساس له وأنها نوع من الحكايات التي لا أساس لها [2].

المحور الثاني:الأساطير والخرافات الخاصة بالإنسان.

شكل الأنسان بمختلف عناوينه ومُسمياته عنصراً رئيسياً للأساطير والخرافات عند الغرناطي في كتابه تحفة الألباب ونخبة الإعجاب وقد تنوعت فشملت مختلف فئات المجتمع كالشعراء والأدباء ورجال الدين والحكام والعسكريين وعامة الناس, ومن الأمثلة والشواهد على ذلك ما ذكره الغرناطي حول وجود طفل ميت في مصر فيه مواصفات أسطورية وخرافية وذلك بقوله :"**أن في أرض مصر بيتاً تحت الأرض فيه رهبان من النصارى, وفي البيت سرير صغير من خشب تحته صبي ميت ملفوف في نطع**[3], **قديم مسردق مشدود بحبل, وعلى السرير مثل البطانية الكبيرة من خزف مزجج أخضر, وفي البطانية أنبوب من نحاس فيه فتيل, إذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجاً, خرج من ذلك الأنبوب الزيت الصافي الحسن الفائق حتى تمتلئ تلك البطانية وينطفئ السراج بكثرة الزيت, فإذا انطفأ لم يخرج من الدهن شيء, وإذا أُخرج ذلك الصبي الميت من تحت السرير, لم يخرج من الزيت شيء, والبطانية يرفعها الإنسان فلا يرى تحتها شيئاً ولا موضعاً فيه ثقب, وأولئك الرهبان يبيعونه, ويشتريه الناس منهم ينتفعون به, فيما يقال, وهذا من عجائب الدنيا**"[4] , ولتحليل هذه الرواية الأسطورية وبيان بُطلانها نذكر الأمور والملاحظات التالية:

1-إن الغرناطي لم يشاهد ذلك بنفسه ولكن سمع به وهذا مما لا يمكن قبوله وفقاً لمناهج وقواعد البحث التاريخي.

2-لقد ذكر الغرناطي وجود رهبان نصارى في هذا المنزل وهذا الأمر يوحي لنا بأن هذا الطفل كان نصرانياً لا سيما وإن طريقة دفنه تخالف التعاليم الإسلامية, ومما زاد في تعقيد هذه الرواية ورفضها ما تخللها من أمور خرافية للغاية كالحديث عن وجود أنبوب من نحاس داخل البطانية واشتعاله بالنار وخروج الزيت وبكميات كبيرة بحيث يتم جمعه وبيعه وهذه الأمور لا يُمكن للعقل تصديقها بأي حال من الأحوال, وبالنسبة لعملية جمع الزيت وبيعه يُمكن أن تكن حيلة قد تمس إستخدامها من جل الكسب المادي وذلك من خلال جلبه من أماكن أخرى وإيهام الناس بأنه من ذلك الموضع.

3-أشار الغرناطي إلى مفارقة كبيرة لم ترد عند من سبقوه من الأندلسيون تتعلق بنقل جثة هذا الصبي من مكان إلى أخر داخل البيت وهذا مما لا يجوز قبوله لأنه حتى لو كان نصرانياً وكما أسلفنا أعلاه فإن تعاليم الديانة المسيحة لا تُجوز نقل الجثمان من موضع إلى آخر دون أي سبب.

كما وذكر الغرناطي رواية آخرى عن الأساطير والخرافات وهذه المرة يعود إلى العصر الراشدي وتحديداً في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وذلك بقوله:"**حُفر باليمن في صنعاء حفيرة فوجدوا رجلاً جالساً عليه ثياب لم تبل, ويده على رأسه كهيئة الأحياء, فأزالوا يده عن رأسه, فسال الدم من جرح كان في رأسه, فتركوا يده فعادت على الجرح, وانقطع الدم, وفي يده خاتم من فضة مكتوب عليه عبد الله بن الثامر**[5], **فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, كعب الأحبار عنه, فقال يا أمير المؤمنين, هذا من جملة القوم الذين كانوا آمنوا بالحواريين الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام, وكان له أصحاب فأحرقهم ملك اليمن في الأخدود,...,وقتل عبد الله الثامر ودفن على هيئته, فأمر عمر أن يرد كما كان وأن يخفي مكانه حتى لا ينبشه الأعداء ففعلوا**"[6], وسنعمل على نقد هذه الرواية وفق النقاط التالية:

1-إن بقاء أجساد الموتى طيلة هذه المدة الزمنية ومن دون تفسخ, ومن ثُم خروج الدم منه, فيه وجهات نظر كثيرة وبالتالي لا يُمكن لنا أن نعممه على كافة الشهداء, ولكن في الوقت نفسه هنالك بعض الحالات والشواهد التاريخية أيدت

ذلك, مثلا في حادثة الحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه إذ خرج جسده الشريف بعد السيول الكبيرة التي ضربت المدينة كما هو, وأيضاً ما حصل مع جسد الحر الرياحي رضوان الله تعالى عليه.

2-ومما يُثير الإعجاب أيضاً إنهم كيف وجدوا هذا الرجل وهو مدفون منذ مدة زمنية طويلة ولا يعلم بقبره أي شخص, هل عن طريق الصدفة أو بتخطيط مسبق وهذا ما لم يوضحه الغرناطي مطلقاً.

3-كما وإن بعض الآراء تذهب إلى إن اللهﷻ قد حفظ أجساد الشهداء وبذلك فإن هذا الأمر ينطبق على عبد الله بن الثامر باعتباره شهيداً قد دافع عن دينه, ولكن عند الجمع بين الروايات التاريخية المختلفة والتدقيق بينها وجدنا بأن ذلك غير ثابت وليس فيه دليل وحجة والصحيح والثابت أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم فضلوا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يُرزقون في الجنة ويتنعمون، وغيرهم من المؤمنين منعم بما دون ذلك فتلك ميزة الشهداء.

4-بالإضافة لما تقدم ألا توجد شخصية إسلامية أخرى في ذلك العصر غير كعب الأحبار لكي يقوم بتفسير هذه القصة لا سيما وإنه حديث العهد في الإسلام إذ أسلم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب, وقد تمكن بفعل قربه من السلطة وثقافته النسبية التوراتية أن يصبح شخصية مؤثرة آنذاك, واقترن اسمه بما يعرف بالإسرائيليات ودخولها على السنة النبوية، لذلك فهو غير مقبول وتحديداً عند الشيعة الإمامية.

5-وأخيراً وعند الرجوع إلى المصادر التاريخية وبمختلف أنواعها ومقارنتها مع رواية الغرناطي أعلاه وجدنا اختلاف كبير فيها لا يُمكن أن نغض النظر عنه بأي حال من الأحوال وفي عدة أوجه مثل, ما ذكره عن وجود عبد الله بن الثامر في مدينة صنعاء في حين أجمعت المصادر الأخرى على وجوده في نجران, وكذلك حديثة عن الخاتم وما كُتب عليه من عبارات حيث أشار إلى كتابة اسم عبد الله عليه أما بقية المصادر فذكرت عبارة(ربي الله), والاختلاف الأخر في مسألة كعب الأحبار حيث لم تُشير له المصادر مطلقاً على عكس الغرناطي الذي جعل منه عنصراً رئيسياً في الرواية[7].

ومن الأساطير والخرافات الأخرى التي ذكرها الغرناطي والتي تُذهل العقل حديثه عن أقوام ببلاد اليمن وتحديداً في مدينة صنعاء قد مُسخوا وأصبح كل واحد منهم نصف جسد إنسان, أي له نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة يطلق عليهم اسم(وبار) أو(النسناس), ليس لهم عقول, يتكاثرون ويتكلمون العربية ويقولون الأشعار[8], ولمناقشة هذه الرواية وما فيها من غموض نطرح التساؤلات التالية:

1-لقد إحتوت هذه الرواية على الكثير من التناقضات منها كيف إنهم بدون عقل وفي نفس الوقت يقولون الشعر, ثم كيف يمكن لهم التناسل والتكاثر وهم بنصف الأعضاء الذكرية والأنثوية, فهل مثلاً عن طريق الإعجاز الإلهي وهذا مما لا يمكن قبوله وتصديقه بكل الأحوال, وكيف يستطيعون الكلام وجهاز الفم غير مكتمل وغيرها من الأمور الخارقة للطبيعية والتي لا يمكن تصديقها بل وحتى التفكير بها, ولكن مما جذب إنتباهي هو تجسيد مثل هكذا قصص في الوقت الحاضر بالعديد من الأفلام والتي أطلقوا عليها اسم أفلام الخيال العلمي, وهذا الأمر يقودنا إلى الإطلاع الكبير للكتاب الغربيون على التراث الإسلامي والاستفادة منه في شتى المجالات ومنها المجال الفني وبالتالي تحقيق مكاسب مختلفة لا سيما الأرباح المالية الكبيرة.

2-ثُم كيف يستطيع الإنسان العيش والبقاء على قيد الحياة وهو بنصف الأعضاء وبدون غذاء وهذا مخالف للقواعد العلمية, ثُم كيف يستطيعون الحركة والتنقل وهم بهذه الحالة التي لا تسمح لهم بذلك, فضلاً عن هذا فقد إشارة الرواية إلى مغالطة كبيرة أخرى وهي تعرض هؤلاء الأقوام للصيد من قبل بعض السكان العاديين, والسؤال الذي نطرحه هنا ما الفائدة والجدوى من صيدهم؟ هل من أجل أكل لحومهم وهذا مما لا يصح بالمرة, أو بسبب المشاكل التي يُسببوها وهذا أيضاً مما لا يُمكن قبوله بسبب صفاتهم الجسمانية المعروفة.

3-ومن جانب أخر فإن الغرناطي لم يشاهد هؤلاء الأقوام بنفسه مشاهدة مباشرة لكي ينقل لنا صفاتهم وأوصافهم وإنما سمع بذلك عن طريق بعض الأشخاص, وهذا غير منطقي للأخذ بكل ما يقال أو يسمع به وخاصةً في مثل هكذا أمور خارقة للطبيعة البشرية, وللأمانة العلمية فإن الغرناطي لم يكن الوحيد الذي قام بنقل هذا الكلام بل سبقه الكثير في ذلك.

4-ثم إن هنالك عدم فهم واضح من قبل الغرناطي لمفهوم المسخ لأنه ليس بهذا المعنى الذي صوره في فقدان نصف جسد الإنسان, ولكن وكما ورد في الشريعة الإسلامية فهو عبارة عن تحويل صورة شيء إلى صورة أقبح، وهذا ما أشارة إليه بعض الآيات القرآنية كما في مسألة مسخ أصحاب السبت وكما بقوله تعالى: چڈ ڑ ڑ ژ ژ ک ک ڪ ڪ گ گ چ[9]، أي أن اللهﷻ قد جعل منهم قردة, أو إن المسخ يكون روحاني وهذا ما ذهب إليه الكثير من المفسرون أي بمعنى أنه مسخ في الباطن وليس في الظاهر[10]، ثم إن هنالك نقطة جوهرية أخرى تُفند ما تكلم به الغرناطي وهي إن الممسوخين الذين ذكرهم القرآن لم يبقوا أكثر من ثلاثة أيام فماتوا، ولم يتناسل منهم شيء[11].

وأيضاً حديث الغرناطي حول وجود أقوام في بلاد السودان بدون رؤوس, عيونهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم, يتناسلون كالبهائم[12], ولمناقشة هذه الرواية نطرح الأمور التالية:

1-من الناحية العلمية والطبيعة البشرية فإن هذا الأمر لا يُمكن تصديقه أو قبوله بأي شكل من الأشكال وذلك لأنه ومن أبسط البديهيات كيف يُمكن وجود إنسان بهذا الشكل, وثم كيف يستطيع العيش والبقاء بدون غذاء وهو بدون رأس, وأيضاً فإنه لا يستطيع التوازن وبالتالي لن يتمكن من الحركة والسير مطلقاً.

2-كما إن ذلك يتعارض مع العناية الإلهية التي جعلها اللهﷻ للبشرية بصورة مطلقة حيث إنه قد خلق الإنسان في أحسن هيئة وصورة, وبهذا حاشى للهﷻ أن يخلق قوم بتلك الوضعية التي ذكرها الغرناطي.

3-وهنالك أمر أخر يجعلنا لا نُصدق هذه الرواية وهو إن الغرناطي لم يُشاهد ذلك بنفسه وإنما إعتمد في ذلك على ما رواه الشعبي(ت104ه/722م) في كتابه(سير الملوك) وهو من المؤلفات المفقودة ولكن وصلتنا بعض رواياته التي تناقلها عدد من المؤرخين أمثال الغرناطي والذي نقل عنه روايتين, وعند دراسة هذه الروايات من قبل بعض الباحثين وجدوا بأنه كان يَميل إلى تتبع الأخبار ولكنه لا يملك عقلية نقدية فقد أورد في كتابه العديد من الروايات الأسطورية والخرافية من دون نقد, وذلك لأنه ينتمي الى مدرسة أهل الحديث التي لا تؤمن بالرأي والعقل بل بالنقل والحفظ[13], فضلاً عن ذلك فعند تتبُع سيرة الشعبي نفسه وجدنا عليها الكثير من الاختلاف فبينما رفضه الشيعة الإمامية واعتبروه من الضعفاء والمتروكين, أشاد به أبناء العامة وعدوه من أبرز العلماء الثقات وأصدقهم, ووفقاً لذلك نرى إن كل ما جاء عن طريق الشعبي فهو مغلوط وغير قابل للإثبات التاريخي كونه غير ثقة.

4-من جانب أخر فقد وجدنا في متن الرواية عبارة توحي بأن الغرناطي لم يجزم بوجود هؤلاء الأقوام, أو لم يَكن على قناعة تامة بذكر قصتهم, ونستدل على ذلك من خلال قوله :"والله أعلم"[14], وهنا يَتولد لدينا السؤال التالي: إذا لم يكن الغرناطي متأكد من ذلك ولم يقتنع به أصلاً فما الأسباب والعوامل التي دفعته لذلك؟ وللإجابة على ذلك فإنه من الشروط الأساسية الواجب توفرها في كل مؤرخ هي الصدق والأمانة وتحري الحقيقية والاستقلال في الرأي, وهذا للأسف الشديد لم نجده عند الغرناطي حيث إنه قام بنقل هذه الرواية وهو على علم بعدم صحتها, ولأسباب وغايات مختلفة نعتقد بأنها لا تتعدى الأسباب التالية:

أ-ضعف ملكة النقد والتحليل والتمحيص عند الغرناطي وهذا ما شاهدناه بصورة متكررة وفي العديد من الروايات التي نقلها.

ب-محاولة إضافة نوع من المتعة والتشويق في كتابه عن طريق نقل مثل هذه القصص الأسطورية.

ج-كسب عطف وود القراء والمهتمين بصورة عامة سواء في الأندلس أو خارجها.

ومن الروايات الأسطورية والخرافية التي ذكرها الغرناطي حديثه عن وجود أمة في بلاد المغرب كلهم نساء ولا يوجد بينهم ذكر بل ولا يعيش في أرضهم, ويكون حملهن عن طريق دخولهن في ماء كان موجود عندهن أي إن الحمل يتم بواسطة هذا الماء, وتلد كل واحدة بنتاً ولا تلد ذكراً مطلقاً[15], ونُناقش هذه الرواية الخرافية وفق المنظور التالي:

1-إن الغرناطي لم يشاهد ذلك بنفسه وهذا الأمر واضح من خلال سرده للرواية, بل إنه لم يكُن على قناعة تامة بها ولكن أخذه السرد الروائي وأصبح أسير تلك الرواية التاريخية دون نقد وشك وتحليل وهذا ما حدث مع الكثير من المؤرخين, ووفقاً لذلك فنحن لا نصدقها ولا يُمكن لنا قبولها بأي حال من الأحوال.

2-إنه من الاستحالة أن تتم عملية الحمل بهذه الطريقة التي ذُكرت لأن ذلك يخالف القواعد العلمية والعقلية والإلهية, وعند تتبع عصور التاريخ المختلفة منُذ القِدم وحتى يومنا هذا لم تتم عملية ولادة مخالفة للأمور الطبيعية إلا في حالة واحدة فقط وهي ما حصل مع السيدة مريم بنت عمرانﷺ وإنجابها لنبي الله عيسىﷺ, حيث لم يمسسها رجل ولكن اللهﷻ قد خلقه وبث فيه روحه وذلك عن طريق الإعجاز الإلهي.

3-كما إن الرواية فيها من الغموض وعدم الوضوح الكثير ومن عدة أوجه منها, عدم وجودها في أي مصدر أخر, بالإضافة إلى إن الغرناطي لم يذكر المكان أو المدينة المحدد لها واكتفى فقط بذكر بلاد المغرب بصورة عامة وهذا لا يُمكن قبوله, وذلك لأنه كيف يمكننا الوصول إلى المعلومات الكافية عنها ومن ثم إصدار الحكم عليها وهي مجهولة الرقعة الجغرافية.

4-فضلاً عن ذلك فعند التمعن والتحقق الدقيق بها وجدنا بأن الغرناطي قد ذكر أمراً مخالفاً للحقائق التاريخية وذلك عندما أشار إلى وصول الملك اليمني تبع ذي المنار[16], إلى تلك النساء, وهذا الأمر لم يَحدث مطلقاً لأن المعلومات

المتوفرة لدينا تُشير بأن ولده أفريقش[17], هو الذي وصل إلى بلاد المغرب وبنى مدينة إفريقية[18], ونتيجةً لما ذُكر أعلاه من ملاحظات عديدة عن هذه الرواية لا يُمكننا قبولها أو تصديقها.

وواصل الغرناطي سرد الروايات الأسطورية وهذه المرة في مدينة لوشة[19], الأندلسية وهي قصة مشابهة لقصة أصحاب الكهف جاء فيها:**"...., مدينة صغيرة يقال لها لوشة إلى جانبها جبل في حضيضه مثل الغار كهف الشمس تزاور عن بابه ذات اليمين وإذا غربت تقرضه ذات الشمال, وفي داخله فتية عددهم سبعة موتى, ستة منهم نيام على ظهورهم, وآخر نائم على يمينه, وعند أرجلهم كلب, لم يسقط من أعضائهم ولا من شعورهم شيء, والناس يغطونهم بأنواع الثياب ويزورونهم من جميع البلاد, وعلى الكهف مسجد ولهم هيبة عظيمة, وعلى الكهف نور عظيم كثير, والدعاء عندهم مستجاب وهذه كرامة الله ظاهرة لعباده في الدنيا"**[20], وسَنُحلل هذه الرواية بكل تفاصيلها وذلك وفق النقاط والملاحظات التالية:

1-كما هو واضح من تفاصيل الرواية إن الغرناطي حاول الربط وبدرجة كبيرة بين قصة هؤلاء الموتى وأصحاب الكهف ومن عدة أوجه منها, فتحة الغار وكيف إن الشمس لا تدخله لكي لا تؤذيهم, وكذلك عدد الموتى وهم سبعة وكلبهم, فضلاً عن المكانة الكبيرة التي كانوا يحضون بها, وهي معلومات قد وردت عن قصة أهل الكهف ولكن وكما أوضحنا في رواية سابقة فإن الاختلاف كبير بين القصتيين فضلاً عن البعد الزماني والمكاني.

2-وهنالك أمر يجب أن ننوه إليه وهو التكرار في ذكر قصص من هذا النوع في مدينة لوشة تحديداً حيث كان العذري قد سبق الغرناطي في ذلك, والسؤال الذي يُطرح هنا لماذا مدينة لوشة دون غيرها من المدن الأندلسية؟ وللإجابة على ذلك نعتقد بأن هذه المدينة باعتبارها من المراكز الدينية الكبيرة في الأندلس لذلك تقصد هؤلاء الرحالة طرح مثل هكذا قصص غريبة عنها لعلمهم الواضح بالأثر الكبير الذي ستتركه في نفوس أهلها, عن طريق الإشارة الواضحة لمكانة هؤلاء الشهداء عند اللهﷻ من جهة, والمجتمع من جهة ثانية, وذلك من حيث جعل قبورهم قبلة للزائرين, وبحسب ذلك أعتقد بأن هذا الأمر قدر ترك أثره الكبير على سكان لوشة بشكل عام مما دفعهم للجهاد والدفاع عن مدينتهم من أجل نيل الشهادة, ومن أصدق الأدلة التاريخية على ذلك إن مدينتهم ضلت صامدة بوجه الممالك الإسبانية حتى سنة891ه/1486م[21].

3-بالإضافة لذلك فأن الرواية يشوبها الكثير من اللغط والتشويش مثل عدم ذكر الفترة الزمنية لدخولهم إلى ذلك الغار, وهل دخلوا لوحدهم أو مُجبرين, وهل كانوا أحياء عند دخولهم أو موتى, وغيرها من الاستفسارات التي لم يُجيبنا عنها الغرناطي.

المحور الثالث:الأساطير والخرافات الخاصة بالحيوانات.

ومن جملة الأساطير والخرافات الكثيرة التي ذكرها الغرناطي عن الحيوانات والتي لا يستوعبها العقل كلامه عن وجود خمسُ حيات برأس واحدة وذلك بقوله:**"ولقد رأيت يوماً في البحر وأنا على صخرة والماء تحت رجلي قد خرج ذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع تطلب أن تقبض على رجلي,...,وإذا بها خمس حيات ورأس واحد, فعجبت من ذلك فسألت من كان هنالك عن اسم هذه الحية, فقالوا هذه تعرف بأم الحيات, وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وكأنها تقبض على السمك في البحر وتأكله حتى تعظم, تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا, وأنها تقلب المراكب وتأكل كل من قدرت عليه من أصحابها, وأن الحديد لا يقطعها ولا يؤثر فيها"**[22], وقوله في موضع أخر :**"ثم بعد ذلك وقعت واحدة من هذه الحيات في صنارة غلام كان معي فأخرجها إلى البر فرأيت منظراً عجيباً فمها تحت رأسها في الموضع الذي يمكن أن يكون فيه الدبر, وحشاها في دماغها, فأدخلوا سكينا في فمها وأخرجوا حشوتها فماتت فسلخوا جلدها, فكان أرق من قشرة البصلة, خفيفاً ليناً, فكنت أجعله على يدي وأجر عليه السكين الحاد المرهف الذي يحلق الشعر فلا يؤثر فيه,...,إلا إنهم يصطادون به السمك في الصنارة, فالسمك يحبه, ويصطاد به"** [23], ولنقد وتحليل ما تحدث به الغرناطي أعلاه من أمور خيالية نذكر الملاحظات والاستنتاجات الآتية:

1-لقد توصلنا من الناحية العلمية في هذا المجال تحديداً بأنه لا توجد حية بهذا الشكل بل لا يُمكن حدوث ذلك ولعدة أسباب من بينها, استحالة توزيع الغذاء بشكل متساوي, وعدم قدرة الرأس الواحد على تحمل هذا الجهد الكبير من قبل الخمسة حيات.

2-وعند الملاحظة الدقيقة لهذه الرواية وجدنا فيها عدة تناقضات ونقاط ضعف ومنها, إن الغرناطي قد ذكر بأن طولها باع أي حوالي مترين, ومرة أخرى قال بأن كُل حية منها عشرون ذراع أي ما يُقدر بعشرة أمتار, كما وصرح بأنها

تستطيع تدمير مركب بالكامل وتأكل من فيه, في حين نجده قد غالط نفسه في موضع أخر عندما أشار إلى صيدها بواسطة صنارة وعلى يد طفل صغير, وهذا ما يُثير الدهشة في كيفية تمكن الطفل من ذلك, وإن الحديد لا يؤثر فيها وبالتالي كيف تمكنوا من تقطيعها واستخدامها كطعم لصيد السمك, فضلاً عن ذلك لم نجد نوع من الحيات تُدعى بهذا الاسم.

3-والأكثر من ذلك إن هذه الرواية لم نجد ما يؤيدها في المصادر الأخرى إلا رواية واحدة كان قد ذكرها الأبشيهي ولكن لا يُمكن التعويل عليها وليس فيها تلك الفائدة الكبيرة وذلك لقيامه بالنقل الحرفي من كتاب تحفة الألباب للغرناطي[24].

كما وتطرق الغرناطي أيضاً في رواية أسطورية وخرافية أخرى عن نوع من السمك يسمى(بُلْب) له صفات خيالية لا يُمكن تصديقها وذلك بقوله:**"إذا اصطادوه ومسكوه وبقي في أيديهم ما شاء الله لا يموت ولا يزال يتحرك ويضطرب فيقطعونه قطعا ما بين صغار وكبار وهو يثب ويضطرب, وإن جعلت منه قطعة على النار, وثب إلى خارج النار, وربما أصابت وجه الإنسان, وإن جعلت في القدر في ماء حار كالنار, وهي مقطعة, وربما قلبت القدر, ويحتاجون إذا طبخوه أن يثقلوا القدر بحديد ثقيل أو صخرة ثقيلة حتى ينضج, ومهما لا ينضج لا يموت ولو قطع ألف قطعة, وهو من عجائب المخلوقات"**[25], وسنقوم بتحليل هذه الرواية وفق الآراء ووجهات النظر التالية:

1-لقد تطلب البحث عن هذه الرواية وقت وجهد كبير وبعد عدة محاولات توصلنا لرواية واحدة كان قد ذكرها ابن وصيف شاه(ت599ه/1202م) والتي تحدث فيها عن سمك يُسمى(البلب)[26], يوجد في بحر الصين له نفس المواصفات التي ذُكرت تماماً, ولكن لا نعلم هل هو نفسه أم غيره ومما جعل لدينا هذا الشك إن الغرناطي لم يُحدد مكانه واكتفى بالقول في البحر فقط.

2-أما عن تلك الصفات التي ذُكرت عن هذه الأسماك ففيها مبالغة كبيرة جداً تتعدى الواقع العلمي إذ لا يُمكن لأي نوع منها أن يبقى حياً بعد تقطيعه ووضعه على النار وهذا الأمر واضح وملموس للعيان, إذ بعد فترة قليلة جداً من تقطيع أي سمكة تنتهي حركتها بصورة كاملة.

ولم يقف الغرناطي عند هذا الحد بل عمل على ذكر ما يسمعه من أساطير وخرافات وما يقوله الأخرون والأمثلة كثيرة على ذلك, منها ما نقله عن الشيخ أبو العباس الحجازي[27], وفي عدة مواضع, كقوله أي الشيخ الحجازي:**"دخلت جزيرة سرنديب[28], وهي جزيرة عظيمة في وسطها جبل الراهون الذي نزل عليه آدم عليه السلام, وحول ذلك الجبل أشجار كثيرة كبار وغياض كثيرة وفي كل موضع من تلك الغياض بين تلك الأشجار حيات كبار كجذوع النخل, الحية تبتلع الآدمي والبقر والغنم وتلتف حول شجرة من تلك الأشجار العظام فتكسر في جوفها, عظام ذلك الحيوان الذي ابتلعته حتى تهضمه فلا يمكن لأحد من الناس أن يصل إلى ذلك الجبل"**[29], ولمناقشة هذا الرواية نذكر النقاط التالية:

1-الأمر الأول الذي يُسجل على الغرناطي إنه يقوم بنقل وتدوين كل ما يَسمع به دون نقد وتمحيص وهذا مما لا يجوز وفق منهج البحث التاريخي والذي اشترط على المؤرخ التأكد من صدق الرواية والخبر ومن ثم قبوله, فضلاً عن ذلك فمعلوماتنا عن أبو العباس الحجازي تكاد تكون منعدمة حيث لا نعرف اسمه أصلاً ولم تحدثنا المصادر بأي معلومة عنه, باستثناء ما ذكره الغرناطي من إنه قد قضى فترة زمنية طويلة في الهند والصين, وإني قد لقيته في مصر بحدود سنة512ه/1118م[30], وهذا الأمر يضعف الرواية بإعتبار إن الراوي مجهول بالنسبة لنا.

2-أما بالنسبة لموضوع الحيات وكبر حجمها ففيه مبالغة كبيرة لا يُمكن تصديقها, ومما يُعزز هذا الرأي إنه وبعد الاطلاع على مصادر كثيرة كانت قد تطرقت لهذه الجزيرة وأوصافها لم تُشير إلى موضوع الحيات مطلقاً باستثناء ما ذكره الغزولي(ت815ه/1412م)[31].

وواصل الغرناطي حديثه عن الحيوانات الأسطورية وتحديداً عن حيوان يُسمى(الرُّخ) يوجد في جزر بحر الصين له صفات غريبة ومنها ما جاء بقوله :**"يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع, ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان, وكان قد وصل إلى المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصين في البحر وأقام بها مدة, ووصل إلى بلده المغرب بأموال عظيمة, وكان عنده أصل ريشة من جناح الرخ كان يسع فيها قربة من الماء, كان الناس يتعجبون من ذلك, وكان يعرف الرجل بعبد الرحيم الصيني, وكان يُحدث بالعجائب, فذكر أنه سافر في بحر الصين والقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة, فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب, فرأوا فيها قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع, لها لمعان وبريق فتعجبوا منها, فلما دنوا منها, وإذا هي بيضة الرخ فلما دنوا منها جعلوا يضربونها بالفؤوس والخشب**

والحجارة حتى انشقت كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه فجروه, فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة عند علماني, خرج أصلها من لحم جناحه ولم يُكمل بعد خلقُه, قال فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه ورحلوا, وقد كان بعضهم طبخ في الجزيرة قدرا وحركوها ببعض عيدان الحطب الذي طبخوا به, وكان فيهم مشائخ, فلما أصبحوا رأوا المشائخ قد اسودت لحاهم, ولم يشيبوا بعد ذلك اليوم من أكل من ذلك الطعام فكانوا يقولون إن ذلك العود الذي حركوا به القدر من شجرة الشباب والله أعلم, قال فلما طلعت الشمس رأوا الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة, وفي رجليه قطعة حجر كالبيت العظيم, أكبر من السفينة, فلما جارى السفينة ألقى ذلك الحجر, وكانت السفينة مسرعة بسعة من الأثقال عليها الشراعات, فوقع الحجر في البحر وسبقت السفينة, ونجانا الله عز وجل"[32], وسنعمل على نقد وتحليل هذه الرواية بشكل مفصل وعلى النحو التالي:

1-نجد في كلام الغرناطي هذا ضرب من الخيال البعيد عن التصديق إذ بعد الرجوع إلى وحدات القياس وجدنا بأن الباع الواحد يقدر طوله بما يُقارب المترين وبذلك يصل طول الجناح الواحد لهذا الحيوان حوالي عشرون ألف متر, وبالتالي فنحنُ أمام رواية أسطورية وخرافية خالية من أي دليل علمي وعقلي إذ كيف يتمكن من الطيران وهو بهذا الوزن الثقيل والطول الشاسع, ثُم ما هو الارتفاع الذي يجب أن يُحلق فيه لكي لا يصطدم بالأرض.

2-ومما يُعزز بطلان هذا الأمر إنه وبعد التقصي والبحث في الأخبار الواردة بحق هذا الطائر الأسطوري لم نجد المعلومات الكافية والوافية التي تُبين حقيقة وجوده على أرض الواقع, حيث وجدنا بعض المؤرخين والرحالة قد تطرقوا له اعتماداً على رواية الغرناطي أعلاه دون أي إضافة[33], وبعضهم الأخر ذكره بشكل خجول معتمدين على التوقع وأقوال بعض الناس[34], والعامل الأساسي والمشترك بينهم جميعاً هو عدم المشاهدة والمعاينة المباشرة له ولكن عن طريق النقل من الآخرين وهذا الأمر ينطبق على الغرناطي أيضاً.

3-من جهة أخرى وبعد جمع المعلومات والأخبار من هُنا وهناك والمقارنة بينها وجدنا بأن هنالك ثلاثة أشخاص قد ادعوا مشاهدة طائر الرخ وفي فترات زمنية متباعدة وهم بحسب التسلسل الزمني كل من السندباد البحري, وعبد الرحمن المغربي(الصيني)[35], والرحالة ماركو بولو(ت725ه/1324م)[36], والثلاثة موضع شك إذ عليهم الكثير من الإعتراضات وسنُبينها بشكل مختصر, فبالنسبة للسندباد البحري فقد حصل إختلاف كبير بين الباحثين في أصله وحقيقة وجوده, فالبعض يرى بأنه بحار ومغامر عاش في بغداد في العصر العباسي في زمن هارون الرشيد ثم إنتقل إلى البصرة وبدأ بالإبحار منها نحو السواحل والجزر البعيدة, في حين يرى أخرون بأنه بحار من عُمان وتحديداً من مدينة صحار التي كانت عاصمة قديمة للبلاد, ورأي ثالث يعتقد بأنه من أصول فارسية وإن قصته مستوحاة من التاجر والمغامر الفارسي(سليمان السيرافي), وأما عن حقيقة وجوده فهناك أراء ترى بأنه أسطورة وغير حقيقي وإن قصصه لا شك بأنها خيالية, بل وحتى القصة التي ذكر فيها مشاهدته لطائر الرخ خيالية وقد جاء فيها: **"إني قصدت ذلك البياض وإذا هي قبة كبيرة شاهقة ملسه ناعمة, فدنوت منها ودرت حولها فلم أجد لها باباً ولم أطق الصعود إليها من ملاستها, وكانت استدارتها خمسين خطوة فبقيت متحيراً في ذلك وكانت الشمس قد قاربت الغروب, وإذا الجو قد أظلم وظهرت غيمة كبيرة فتأملتها وإذا هي طير, فتذكرت ما أخبر البحريون عن طير الرخ الذي هو بقدر الغيمة وتلك القبة هي بيضته, وإذا بالطير قد نزل عليها وأنا في جانبها, فوقع أحد مخالبه قدامي كأنه سكة حديد كبيرة, فحللت عمامتي من رأسي وشددت نفسي في طرف العمامة وفي المخلب شداً وثيقا, وقلت لعل هذا الطير يخرجني من هذه الجزيرة إلى مكان عامر, فلما أصبح الصباح أقلع الرخ وطار في الفضاء وأنا مربوط في مخلبه ربطاً وثيقاً والسفرة معي, ولم يزل مرتفعاً وأنا متعلق بمخلبه فطار وعلا إلى الجو حتى ظننت أنه قد إحتك بالسماء, ثم نكس رأسه وطلب الأرض فلم أحس بنفسي إلا وأنا على وجه الأرض, فحللت العمامة من مخالبه وإذا به ضرب على حية كأنها جمل وأخذها وطار"**[37], ولو دَققنا في هذا الكلام لوجدناه غير منطقي إذ كيف لقطعة صغيرة وخفيفة من القماش أن تحمل إنسان وهو طائر في الهواء طول هذه المدة ويتأرجح يميناً وشمالاً.

وأما عن عبد الرحيم المغربي فلم يتطرق له أي من المؤرخين وبالتالي لا نعرف عنه المعلومات الواضحة والكبيرة فهو مجهول بالنسبة لنا وكل ما ورد عنه بأنه تاجر من أهل المغرب قد سافر إلى بلاد الصين وأقام فيها فترة زمنية طويلة لدرجة إنه قد لُقبَ بالصيني.

وبخصوص ماركو بولو فقد أشار الكثير من الباحثين المُحدثين بعدم مصداقيته ومنهم فرنسس وُود الذ نفى وصله أصلاً إلى الصين وبين هذا الأمر بشكل تفصيلي في كتابه(**ماركو بولو هل وصل إلى الصين**), وكذلك فراس المناصير الذي أثبت من خلال كتابه(**ماركو بولو النصاب**) بأن هذا الرحالة قد قام بأكبر عمليات التلفيق في التاريخ, وإنه لم يذهب إلى الصين أصلاً وبدليل إنه لا يوجد له أي ذكر في كتب المؤرخين الصينيين وأول مرة سمع بهِ الصينيون كانت عندما تُرجم كتابه إلى اللغة الصينية في أوائل القرن العشرين.

ونختم حديثنا عن الروايات الأسطورية والخرافية التي ذكرها الغرناطي عن الحيوانات برواية قد نقلها عن طريق سماعه لها من بعض التجار يدور فحواها بالشكل الآتي :**"خرجت إليهم سنة من السنين سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وجروها فانفتحت أذنها وخرج من داخلها جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر, حمراء الخدين عجزاء, من أحسن ما يكون النساء ومن سرتها إلى نصف ساقها جلد أبيض كالثوب خلقه يتصل بجسدها يستر حيها وجسدها كالإزار دائر عليها, فأخذها الرجال إلى البر, وهي تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض ذراعها وثديها, وتصيح, وتفعل كما تفعل النساء في الدنيا حتى ماتت في أيديهم, فتبارك الله, ما أكثر عجائبه وخلقه"**[38], وسنعمل على نقد وتحليل هذه الروية وإثبات بُطلانها وفق الأدلة التالية:

1-لا يُمكن تصديق مثل هكذا خرافات لا تستند إلى أي دليل علمي وعقلي بل إنه لا وجود لها أصلاً في التاريخ البشري, بل أن كُل من يَتحدث عن الجواري ذوات الجمال الساحر وخروجهن من البحر والإمساك بهن ومن ثم العيش معهن وغيرها من هذه القصص الأسطورية التي امتلأت بها المؤلفات الإسلامية, فهو أمر عارٍ عن الصحة ويندرج تحت باب الكذب.

2-لو سلمنا بصحة ما جاء بهذه الرواية كيف لهذ الجارية وهي بهذه الهيئة الجسمانية المتكاملة كما صورها الغرناطي بأنها تخرج من إذن تلك السمكة, ثُم إنه لم يُشاهدها بنفسه لكي يقر بصحتها ولكن نقلها عن طريق بعض التجار المجهولين بالنسبة لنا.

المحور الرابع:الأساطير والخرافات الخاصة بالأحجار والمعادن.

وأما عن الأساطير والخرافات في مجال الأحجار والمعان وصفاتها الخيالية فقد تطرق لها الغرناطي أيضاً في كتابه تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ومن الأمثلة والشواهد التاريخية على ذلك, ما ذكره عند حديثه عن مدينة أردبيل[39], من وجود حجر له قدرة هائلة جداً وذلك بقوله:**"حجراً في الميدان أسود له طنين كالفولاذ وله محك كمحك القلعي الرصاص, وهو على صورة كلية البقر, فيه أكثر من مائتي مَنَّ, وخاصيته إذا عدم المطر جعلوه على عجلة وأدخلوه مدينة أردبيل, فينزل المطر ويدوم, حتى يخرج ذلك الحجر إلى الميدان, فإذا خرج سكن المطر, وهو من عجائب الدنيا والله أعلم"**[40], وللوصول إلى حقيقة هذا الكلام نطرح النقاط ووجهات النظر التالية:

1-إن ما صرح به الغرناطي يُخالف جميع الظواهر المناخية والنواميس الطبيعية إذ ما علاقة هذا الحجر أو غيره بهطول المطر تلك العملية التي تمر بمراحل عديدة هي التبخر حيث تبدأ قطرات الماء الموجودة على سطح الأرض في مختلف الأماكن بالتبخر فترتفع جزيئات الماء إلى الأعلى نتيجة قلة كثافتها ووزنها, ومرحلة تشكل الغيوم وذلك بعد وصول قطرات بخار الماء إلى الأعلى تبدأ بالتجمع حول ذرات الأملاح والغبار وتُشكل الغيوم، وتتنقل هذه الغيوم بفعل التيارات الهوائية وتتجمع مع بعضها البعض لتكون السحب التي تحمل مياه الأمطار, و مرحلة هطول المطر عندما تعجز السحب عن حمل قطرات الماء بسبب كثرتها، فتتكاثف السحب حول بعضها البعض فيهطل المطر, ووفقاً لذلك لا يُمكن إختزال هذه المراحل بمجملها والتعويل على هكذا أمور غير علمية.

2-بعد الإطلاع والتحقق في أسماء الأحجار وخواصها لم نجد أي حجر له هذه الخاصية لا سيما وإن الغرناطي لم يذكر اسم هذا الحجر, وبالتالي نعتقد بأن هذه الرواية لا صحة لها, ومما يُثير الإستغراب إن الغرناطي على الرغم من إدعائه مشاهدته لهذا الأمر لكنه يختم الرواية بالقول(**والله أعلم**) وهذا يدل على عدم قناعته بها.

ومن الروايات الأسطورية والخرافية الآخرى ما ذكره الغرناطي في أثناء كلامه عن مدينة دربند[41], وذلك حول وجود سيف كان قد وضعه أهل هذه البلاد في محراب من الصخر وقد أصبح مزار يَقصده السكان في مختلف الأوقات ومن عجيب أمره ما جاء بقوله:**"من قصد إليه إن كان في الشتاء لم يمنع من لبس الثياب الزرق وغيرها, وإن كان في وقت الحصاد يمنع أن يزوره أحد إلا بثوب أبيض, فإن زاره بغير ثوب أبيض, جاء المطر الكثير, فيهلك الزرع وتفسد الفواكه, وهذا أمر مستفيض عندهم"**[42], وللتعليق على هذه الرواية ومناقشتها نَستنتج الأمور الآتية:

1-عند التدقيق في هذه الرواية بصورة كاملة إتضح لنا بأن الغرناطي قد ذكر بأن هذا السيف الوارد في الرواية والذي أصبح مزاراً فيما بعد يعود للقائد العسكري مسلمة بن عبد الملك[43], وقد تركه هناك لكي يكون بمثابة دلالة ورمز

لتذكير السكان وعدم الإرتداد عن الإسلام, ولكن عند دراسة سيرة مسلمة بكل تفاصيلها وفي عدة مصادر لم نجد صحة لما تم ذُكر أعلاه حيث إن تلك المصادر بينت دور مسلمة الكبير في الحفاظ على إستقرار مدينة دربند ونشر الإسلام فيها ولكنها لم تذكر مسألة هذا السيف مطلقاً وبالتالي فهذا يُفند كلام الغرناطي ويُضعف روايته.

2-ومن وجهة آخرى وكما تَطرقنا ووضحنا في روايات سابقة ليس للجماد بكل أنواعه سواء كان حجر أو حديد أو غيره أي دور في مثل هذه الأمور التي تتحكم بها العوامل الإلهية والعلمية.

3-فضلاً عن ذلك فإن الرواية تحتوي على الكثير من الأمور المغلوطة والتي لا تَمُت للعقل والمنطق بصلة ومنها, ما علاقة ألون الملابس بسقوط المطر من عدمه ثم إن الغرناطي كان قد وضح بأن هذا الأمر مشهور ومستفيض ولكن عند البحث عنه وتحديداً في تاريخ مدينة دربند وأحداثها المتنوعة ومزاراتها لم نجد أي ذكر لهذا المزار وقصته الخرافية.

هوامش البحث:

(1) الحاج حسن, الأسطورة عند العرب, ص16.
(2) عجينة, موسوعة أساطير العرب, ص17-18.
(3) ما ظهر من الغار الأعلى وفيه آثار كالتحزيز، وتَنَطَّعَ في الكلام: أي تعمَّق فيه, وهي الجلدةُ الملتصقةُ بعَظْمِ الخُلَيْقاء، وفيها آثارٌ كالتّحزيز، ويُجْمَعُ على نُطُوع، ينظر: الفراهيدي, العين, 16/2؛ الجوهري, الصحاح, 1291/2.
(4) تحفة الألباب, ص153-154.
(5) عبد الله بن الثامر هو أول من أدخل النصرانية إلى مدينة نجران حيث كان على دين نبي الله عيسى عليه السلام, قُتل بالسيف على يد ملك اليمن ذو نواس لأنه رفض الدخول في اليهودية, كما أُحرق أصحابه بالنار وهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم اللهﷻ في كتابه العزيز. ينظر: ابن هشام, السيرة, 35/1-36؛ الكلاعي, الاكتفاء, 76/1.
(6) تحفة الألباب, ص154-155.
(7) ابن إسحاق, السيرة, ص66؛ ابن الأثير, الكامل, 392/1؛ الكلاعي, الاكتفاء, 73/1.
(8) تحفة الألباب, ص42.
(9) سورة البقرة, آية65.
(10) الطـــبرسي، تفسير مجمع البيان، 370/3؛ مغنية, التفسير الكاشف, 121/1؛ مكارم الشيرازي, الأمثل, 272/5.
(11) الصدوق, عيون أخبار الرضا, 271/1.
(12) تحفة الألباب, ص43-45.
(13) صدام, دراسة في كتاب سير الملوك, ص251-252.
(14) تحفة الألباب, ص45.
(15) تحفة الألباب, ص43-44.
(16) تبع بن زيد بن عمرو بن تبع بن أبرهة بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ, كان يُلقب بعد ألقاب منها ذي المنار والرائد وذو الأذعار, كان من أعظم الملوك غزا الكثير من المدن والدول مثل الأنبار والموصل وأذربيجان والصين. ينظر: ابن الكلبي, نسب معد, 547/2؛ الطبري, تاريخ, 566/1-567؛ مسكويه, تجارب الأمم, 91/1.
(17) أفريقش بن تبع بن زيد بن عمرو بن تبع بن أبرهة بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ, إفتتح إفريقية وقتل ملكها جرجير وقد سُميت نسبةً لأسمه. ينظر: ابن الكلبي, نسب معد, 548/2؛ ابن الأثير, الكامل, 176/1؛ المراكشي, المعجب, ص251.
(18) البكري, المسالك والممالك, 671/2؛ الإبشيهي, المستطرف, 513/2.
(19) وهي مدينة طيبة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً، على نهر سنجل نهر غرناطة، وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً, وبين غرناطة عشرة فراسخ. ينظر: الحموي, مغجم البلدان, 26/5؛ الحميري, الروض المعطار, ص513.
(20) تحفة الألباب, ص143-144.
(21) السامرائي وآخرون, تاريخ العرب, ص301.
(22) تحفة الألباب, ص121.
(23) تحفة الألباب, ص121-122.
(24) الإبشيهي, المستطرف, 291/2.
(25) تحفة الألباب, ص125.
(26) مختصر عجائب الدنيا, ص153.
(27) كل ما نعرف عنه بأنه رحالة وبحار وتاجر عربي مسلم قضى حوالي أربعين عامًا في الصين من أجل التجارة إذ كان يقوم بإرسال البضائع من الأسواق الخارجية إلى اليمن مثل الخشب والبورسلين فأصبح له عدة مراكز تجارية فيها. ينظر: الإبشيهي, المستطرف, 279/2, 293.
(28) جزيرة في جنوبي شرقي الهند تُعرف اليوم بإسم سيرلانكا وكان العرب يسمونها سرنديب, وهي ثمانون فرسخاً فى ثمانين فرسخاً وفيها الجبل الذي هبط عليه آدمعليه السلام وهو جبل ذاهب فى السماء عليه الياقوت والعود والفلفل والعطر ودابّة المسك والزباد, وفي واديه الماس واللؤلؤ. ينظر: ابن خرداذبة, المسالك و الممالك, ص64؛ السيرافي, رحلة السيرافي, ص19.
(29) تحفة الألباب, ص129.
(30) تحفة الألباب, ص129.
(31) مطالع البدور, ص222.
(32) تحفة الألباب, ص131-132.
(33) ينظر: الدميري, حياة الحيون, 509/1-510؛ ابن الوردي, خريدة العجائب, ص201-202.
(34) ابن بطوطة, رحلة ابن بطوطة, 157/4-158.
(35) لم نجد له ترجمة علمية ومنهجية وافية في المصادر إذ لم يتطرق له أي من المؤرخين وبالتالي لا نعرف عنه معلومات, فهو مجهول بالنسبة لنا وكل ما ورد عنه بأنه تاجر من أهل المغرب قد سافر إلى بلاد الصين وأقام فيها فترة زمنية طويلة لدرجة

إنه قد لُقبَ بالصيني.

([36]) تاجر ومستكشف من البندقية, كان هو وأبوه وعمه أول الغربيين الذين سلكوا طريق الحرير إلى الصين, والتي أطلق عليها إسم كاثاي, ولد عام 652ه/1254م, تميز بعلاقاته التجارية والدبلوماسية ومنها مع قوبلاي خان أكبر ملوك إمبرطورية المغول وحفيد جنكيز خان, وتوفي عام725ه/1324م. ينظر: بولو, رحلات ماركو بولو, 12/1.

تاريخ ومكان الميلاد: 15 سبتمبر 1254، البندقية، إيطاليا

تاريخ ومكان الوفاة: 8 يناير 1324، البندقية، إيطالي

([37]) لويس شيخو, مجاني الأدب, 153/1-154.

([38]) تحفة الألباب, ص139.

([39]) مدينة في بلاد أذربيجان تُحيط بها الجبال من جميع الجهات بناها الملك فيروز, حصينة طيبة التربة عذبة الماء لطيفة الهواء فيها أنهار كثيرة ليس بها فواكه, أبنيتها من الطين والآجر وأسعارها رخيصة. ينظر: اليعقوبي, البلدان, ص79؛ الإدريسي, نزهة المشتاق, 680/2.

([40]) تحفة الألباب, ص108-109.

([41]) مدينة كبيرة في إقليم داغستان الروسي على بحر الخزر يُسميها العرب الباب وباب الأبواب وذلك لأنهم فتحوا القوقاز عن طريقها, وهي تُمثل الحد الفاصل بين مناطق أرمينية وبين مناطق الخزر, لها أهمية تجارية وعسكرية في وسطها مرسى السّفن وفيها بساتين وحصون كثيرة, كما وتشتهر بصناعة ثياب الكتان فتحها المسلمون سنة22ه/6642م. ينظر: ابن عبد الحق, مراصد الاطلاع, 143/1؛ الحِميري, الروض المعطار, ص77-78.

([42]) تحفة الألباب, ص110.

([43]) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير وقائد عسكري يُكنى أبو سعيد ويُلقب بالجرادة الصفراء كان حَسن التدبير شجاعاً جواداً ذا رأي وحزم وفضل، قام بعدة غزوات منها للقسطنطينية والترك والسند، توفي في الشام سنة120ه/737م. ينظر: ابن الجوزي, المنتظم, 224/7؛ الذهبي, سير أعلام النبلاء, 241/5.

الخاتـــــمة:

لقد توصلنا في نهاية هذا البحث إلى جملة من الحقائق التاريخية لا بد من الوقوف عندها وتدقيقها, وذلك من أجل

الإبتعاد عن الأخطاء والوهم والخيال والعمل على تدوين التاريخ بكل حيادية وعقل, ووفقاً لما تَقدم سنعمل على ذكر جملة من النتائج والإستنتاجات منها ما يأتي:

1-لقد تبين لنا بأن الغرناطي قد إكتفى بسرد الأحداث المروية أو المنقولة عن طريق السماع أو من خلال ما جاء ببعض الكتب والوثائق من دون نقد وتمحيص وهذا ما أوقعه في هذه الأخطاء الكبيرة فنقل تلك الأساطير والخرافات دون أي تفكير وتحليل.

2-التنوع الكبير في نقل الأساطير والخرافات عند أبو حامد الغرناطي إذ شملت عدة جوانب مختلفة وبشكل مفصل للغاية, أي إنها لم تقتصر على جانب معين ومحدد بل تنوعت وشملت, الإنسان ومختلف الأمور والحوادث المتعلقة به, وكذلك الحيوان وما دار حوله من روايات أسطورية وخرافية, بل وحتى الجماد وما يمتلكه من قدرات هائلة تستطيع التأثير بالأشخاص والأشياء المحيطة به بحسب ما ذكره الغرناطي.

3-لقد كانت هنالك جملة من العوامل والأسباب المؤثرة في نقل هذه الأساطير والخرافات ومنها السياسية والاجتماعية والدينية والشخصية والنفسية, بحيث وصل الأمر بالغرناطي إلى محاولة تشويه وتغيير بعض الحقائق والأحداث التاريخية نتيجةً لتأثره بهذه العوامل, فضلاً عن ذلك فقد كان للأسباب الشخصية والرغبة من قبل الغرناطي في كسب ود وتعاطف الجمهور آثر كبير في نقله لهذه الأمور.

4-إتضح لنا أن الأعم الأغلب من هذه الأساطير والخرافات ليس لها أي ذكر في بقية المصادر الأخرى, وهذا الأمر يقودنا إلى إن الغرناطي كان يختلقها من خياله ومن ثُم يقوم بتصديرها للمجتمع على إنها حقيقة, ولو كان عكس هذا الشيء لوجدنا لها إشارة أو ذكر عند بعض المؤرخين ولا سيما الأندلسيون.

5-التركيز على ذكر أساطير وخرافات متكررة لبعض الأشخاص, أو بعض الحيوانات ولا سيما الأسماك مثلاً, وكذلك روايات عديدة لبعض الأحجار والمعادن, وهذا الأمر لم أجد له أي تفسير علمي أو منطقي قد جعل من الغرناطي يكرر بكثرة من هذه الروايات, ولكن يُمكن أن يكون ذلك بسبب جهل المجتمع الأندلسي بصورة عامة لأغلب أسماء تلك الحيوانات أو الاحجار وهذا ما شجع الغرناطي على الإكثار منها.

6-لقد سافر الغرناطي إلى أماكن عديدة وبعيدة عن دار الإسلام لذلك فقد عمل على تسجيل وتدوين كل ما سمع به أو صادفه من أمور أسطورية وخرافية لتصبح مادة دسمة في مؤلفاته, وبالتالي تستهوي الكثير من أبناء المجتمع الأندلسي نتيجةً لما تحمله من تشويق وإثارة.

7-كما ويبدوا إن الغرناطي كان قد إطلع على الكثير من مؤلفات الرحالة الذي سبقوه في رحلاتهم العلمية ووجد بأنها كانت تحمل مثل هذا النمط والمنهج والأسلوب في تناول الأساطير والخرافات وهذا مما ساعد في رواجها وإنتشارها لدى القراء, لذلك فقد سلك الغرناطي نفس المنهج ولكنه زاد فيه إلى درجة كبيرة ومبالغة للغاية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً:المصادر الأولية.

***الأبشيهي, شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي(ت850هـ/1446م).**

1-المُستطرف في كل فن مستظرف, ط1, دار الندى,(بيروت,2004م).

***ابن الأثير, علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير(ت630هـ/1232م).**

2-الكامل في التاريخ, تحقيق عمر عبد السلام تدمري, ط1, دار الكتاب العربي, (بيروت,1997م).

***الإدريسي, محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت560هـ/1164م).**

3-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق, ط1, عالم الكتاب,(بيروت,1989م).

***ابن إسحاق, محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(ت151ه/768م).**

4-السيرة النبوية, تحقيق سهيل زكار, ط1, دار الفكر,(بيروت,1978م).

***ابن بطوطة, محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779ه/1377م).**

5-رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار), تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي, د.ط, أكاديمية المملكة المغربية,(الرباط,1997م).

***البكري, أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي(ت487ه/1094م).**

6-المسالك والممالك, تحقيق وتقديم آدريان وان ليون وأندرو فري, د.ط, دار الغرب الإسلامي, (تونس,1992م).

***بولو, ماركو بن نيكولو(ت725ه/1324م).**

7-رحلات ماركو بولو, ترجمة عبد العزيز جاويد, ط2, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (مصر,1995م).

***الجوهري, أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي(ت393ه/1003م).**

8-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار, ط4, دار العلم للملايين,(بيروت,1987م).

***ابن الجوزي, أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597ه/1201م).**

9-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا, ط1, دار الكتب العلمية,(بيروت,1992م).

***الحموي, أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي(ت626هـ/1228م).**

10-معجم البلدان, ط2, دار صادر,(بيروت,1995م).

***الحِميري, أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت900هـ/1494م).**

11-الروض المعطار في خبر الأقطار, تحقيق إحسان عباس, ط2, مؤسسة ناصر للثقافة,(بيروت,1980م).

***ابن خرداذبة, أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بإبن خرداذبة (ت280هـ/893م).**

12-المسالك والممالك, د.ط, دار صادر,(بيروت,1889م).

***الدميري, أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري كمال الدين الشافعي (ت808هـ/1405م).**

13-حياة الحيوان الكبرى, ط2, دار الكتب العلمية,(بيروت,2003م).

***الذهبي, أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1347م).**

14-سير أعلام النبلاء, د.ط, دار الحديث,(القاهرة,2006م).

***السيرافي, أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي(ت بعد330هـ/941م)**

15-رحلة السيرافي, تحقيق عبد الله الحبشي,د.ط, المجمع الثقافي،(أبوظبي,1999م).

***الصدوق, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى(ت381هـ/991م).**

16-عيون أخبار الرضا, تحقيق حسين الأعلمي, د.ط, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, (بيروت,1984م).

***الطبرسي, أبو علي الفضل بن حسن(ت548ه/1153م).**

17-تفسير مجمع البيان, تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين, ط1, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات,(بيروت,1995م).

***الطبري ,أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي(ت310هـ/922م).**

18-تاريخ الرسل والملوك, ط2, دار التراث,(بيروت,1967م).

***ابن عبد الحق, عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي(ت739ه/1338م).**

19-مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق علي محمد البجاوي, ط1, دار الجيل, (بيروت,1992م).

***الغرناطي, أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان الأندلسي (ت565ه/1169م).**

20-تحفة الألباب ونخبة الإعجاب, تحقيق إسماعيل العربي, ط1, دار الافاق الجديدة, (المغرب,1993م).

***الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم(ت170هـ/786م).**

21-كتاب العين, تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي, د.ط, دار ومكتبة الهلال,(د.م,د.ت).

***الكلاعي, أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري(ت634هـ/1236م).**

22-الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء, ط1, دار الكتب العلمية ,(بيروت,1999م).

***ابن الكلبي, أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت204هـ/819م).**

23-نسب معد واليمن الكبير, تحقيق ناجي حسن, ط1, عالم الكتب مكتبة النهضة العربية, (د.م,1988م).

***المراكشي, محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي(ت647هـ/1249م).**

24-المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين, تحقيق صلاح الدين الهواري, ط1, المكتبة العصرية,(صيدا-بيروت, 2006م).

***مسكويه, أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه(ت421هـ/1030م).**

25-تجارب الأمم وتعاقب الهمم, تحقيق أبو القاسم إمامي, ط2, سروش، (طهران,2000م).

***ابن هشام, عبد الملك بن هشام بن أيوب جمال الدين الحميري المعافري(ت213هـ/828م).**

26-السيرة النبوية, تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي, ط2, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر,(القاهرة,1955م).

***ابن الوردي, سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي البكري القرشي المعري الحلبي (ت852هـ/1448م).**

27-خريدة العجائب وفريدة الغرائب, تحقيق أنور محمود زناتي, ط1, مكتبة الثقافة الإسلامية، (القاهرة,2008م).

***ابن وصيف شاه, إبراهيم بن وصيف شاه(ت599ه/1202م).**

28-مختصر عجائب الدنيا, تحقيق سيد كسروي حسن, ط1, دار الكتب العلمية, (بيروت,2001م).

***اليعقوبي, أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت292هـ/904م).**

29-البلدان, ط1, دار الكتب العلمية،(بيروت,2001م).

ثانياً:المراجع الحديثة.

***الحاج حسن, حسين.**

30-الأسطورة عند العرب في الجاهلية, ط2, مؤسسة الجامعة, (د.م,1998م)

***السامرائي وآخرون, خليل إبراهيم وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب.**

31-تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس, ط1, دار الكتاب الجديد المتحدة, (بيروت,2000م).

***لويس شيخو, رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب.**

32-مجاني الأدب في حدائق العرب, د.ط, مطبعة الآباء اليسوعيين،(بيروت,1913م).

***عجينة, محمد.**

33-موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها, ط1, دار الفارابي, (د.م,1994م).

***مغنية, محمد جواد.**

34-التفسير الكاشف, ط3, دار العلم للملايين,(بيروت,1981م).

***مكارم الشيرازي, ناصر.**

35-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل, د.ط,(د.م.د.ت).

ثالثاً:البحوث والمجلات والدوريات.

***صدام, رحيم فرحان.**

36-دراسة في كتاب سير الملوك للشعبي, كلية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد, مجلد6, (بغداد,2019م).